الطريق إلى بيت أحمد رجب!

«١»

حين تطأ قدماك منزل عمنا أحمد رجب تدرك تمامًا أن مَن يسكنها هو إمام الزاهدين، وسيد المتواضعين، فالشقة اشتراها حين تزوج في مطلع الستينيات من القرن الماضي، وليس بها أي مظاهر للترف أو الثراء رغم كونها تقع في واحدة من أرقى مناطق الجيزة، في حي المهندسين، فالتكييف يبدو أنه اشتراه منذ زمن بعيد، والأثاث رغم أناقته فإنه لا يوجد به أي مبالغة، والجدران يكسوها ورق الحائط، ولا توجد عليها سوى صورتين إحداهما لابن أخته، والثانية لصديق عمره.

يجلس على مقعده وبجواره عدد كبير من الكتب والصحف وفي يده «أخبار اليوم»، وأمامه شاشة تليفزيون يشاهد عليها برامج التوك شو المسائية وقنوات الأخبار العالمية.

ذهبتُ إلى الأستاذ أحمد رجب -بناءً على موعدنا- في تمام الثانية عشرة ظهرًا، وبمجرد أن وصلت أمام بيته وجدتُ من ينتظرني ليصعد بي إلى شقته في الدور الأول.

طَرْقَة واحدة على الباب كانت كافية ليفتح عاطف -ذلك الرجل الذي لم يفارق الأستاذ منذ قرابة ٤٠ عاما- فدخلتُ، وعبرتُ باب الشقة، ووجدت الأستاذ جالسًا على مقعده، وجواره عصاه التي يتوكأ عليها، ممسكًا بـ«أخبار اليوم»، وحين رآني عَلَت الابتسامة وجهه، خصوصا أنني كنت أرتدي «تي شيرت» مطبوعًا عليه صورته، وأحمل في يدي جائزة الصحافة العربية، المنحوت

عليها اسمه والتي شرَّفني باختياري لتسلمها نيابةً عنه، وسلمت له الجائزة وشهادة التقدير والحقيبة، فكافأني مكافأة لم تخطر لي على بال، إذ جعلني أتجول في بيته وأرى مكتبه ومكتبته.

رأيت بيته غرفة غرفة، ورأيت المكتب الذي يكتب عليه «نُص كلمة» منذ أكثر من نصف قرن، وشاهدت مكتبته المكتظة بأمهات الكتب من الأرض إلى السقف، وإلى جوارها عدد هائل من شرائط الكاسيت التي ما زال يحتفظ بها لجبابرة الغناء: أم كلثوم وعبد الوهاب وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ وشادية وغيرهم، وكذلك شاهدت شرائط الفيديو المسجَّل عليها الأفلام التي كتب قصتها والسيناريو والحوار لها.

«٢»

وحين انتهت جولتي في الشقة، جلسنا ساعتين نتحدث في كل شيء، لكن أغلب حديثنا دار حول أولياء الكتابة الصالحين الذين عاصرهم وعاش معهم وبينهم أمثال جليل البنداري الذي تمنى أن يكتب كتابًا عنه، وكامل الشناوي وجلساته الساخرة، وعلي أمين وجلساته الساحرة، ومصطفى أمين الذي كان يزور أحمد رجب في بيته، ويجلس على الكرسي المواجه لباب الشقة، وأثنى كثيرًا على الأستاذ إبراهيم عيسى وأبدى إعجابه الشديد بذكائه، وخفة ظله، وثقافته، ومقالاته، وبرامجه.

وتحدثنا عن الرئيس المعزول محمد مرسي، وفاجأني الأستاذ بأنه كان يتمنى أن يكتب رواية كوميكس مستوحاة من شخصية مرسي، فهو يرى أن هذا الرجل مادة ثرية وملهِمة للساخرين.

وقال لي إنه يرى أن المأساة والملهاة وجهان لعملة واحدة،

لذلك منذ سنوات طويلة أعاد كتابة السيناريو والحوار لواحدة من أشهر المسرحيات التراجيدية، وهي مسرحية «عطيل» لشكسبير، ولكنه صاغها بصورة كوميدية، واتفق مع صديقه المخرج فطين عبد الوهاب على إخراجها، لكنه رحل قبل أن يخرج العمل إلى النور، ولم تكن معه نسخة أخرى من السيناريو الذي كتبه، ولم يستطع الورثة العثور على هذا السيناريو!

أحمد رجب يرى دائمًا الوجه الساخر من الأشياء، ويمكنه بكلمة أو بحرف واحد فقط أن يجعل من المأساة ملهاة، فلا يمكن أن تتمالك نفسك من الضحك وأنت تجلس معه، يظهر ذلك في أعماله، ويظهر أكثر في كتابه الجديد البديع «يخرب بيت الحب» الذي صدر حديثًا، والذي كان يكتب صفحة واحدة منه كل يوم، حتى يتمكن من إنجازه، وأهداني الكتاب قائلا: «إلى ابني العزيز صحفي المستقبل المرموق الذي وكَّلته استلام جائزتي من مسابقة الصحافة العربية، والشهادة للحق أنه أحضر لي كل شيء كاملا دون أن يحدث منه أي اختلاس فشكرًا لأمانته وأتمنى أن أراه صحفيًّا مرموقًا أفخر به لأنه ابني».

«٣»

كلام والدي أحمد رجب شرف لا أدَّعيه، لكن أكثر لحظة شعرت فيها بأنني ابنه فعلا حين دق جرس التليفون في تمام العاشرة مساءً من يوم ١٤ مارس ٢٠١٤، ورغم أننا نتحدث كثيرًا، وطويلا، فإنه لم يتصل بي أبدًا في هذا التوقيت، فعادة الأستاذ أن يتصل بي في الصباح، وغالبًا ما أكون نائمًا، وأعاود الاتصال به عندما أستيقظ، ودائمًا ما يسخر مني بسبب نومي حتى

الظهيرة، ويقول لي: «أنت صاحي بدرى كده ليه؟!».

فكان غريبًا اتصاله في العاشرة مساءً، لكن بمجرد أن رددت جاءني صوته فرحًا، ومبتهجًا، ومنتشيًا، وقال لي: «أنا فزت بجائزة الصحافة العربية، كأفضل عمود صحفي.. وهمَّا أبلغوني منذ دقائق بالجائزة، لكن أنا طبعًا مش هاقدر أسافر، عشان كده قررت أنك تسافر مكاني، وتتسلم الجائزة نيابة عني.. من النهارده أنت أحمد رجب».

في هذه اللحظة كدتُ أُصاب بالجنون من الفرحة، لم أصدق، ولم يستطع عقلي تحمل ما قاله الأستاذ، لدرجة أنني لا أذكر ماذا قلنا بعد ذلك، وكيف انتهت المكالمة بيننا، وتذكرت في هذه اللحظة نجيب محفوظ حين قرر أن لا يذهب لتسلم جائزة نوبل وأرسل ابنته لتتسلمها بدلا منه، لا أعرف لماذا هذه الواقعة تحديدًا التي هبطت على ذاكرتي، وعلى ذاكرة زوجتي في نفس الوقت!

ربما لأنني شعرتُ بما يقوله لي دائمًا إنني ابنه الروحي، وهذا شرف أحاول أن لا أصدقه من فرط سعادتي به، وأخشى أن يصيبني الغرور بسببه، لكن بعد أن أُغلق الخط، وفي ظل فرحتي الغامرة، تذكرتُ قائمة طويلة من التلاميذ والمريدين والمقربين منه، وعلى رأسهم الرائعة صفية مصطفى أمين، التي يكفي اسمها ليجعلها أقرب الأحياء إلى قلب أحمد رجب، لذلك اكتملت فرحتي حين هنأتني على اختياره لي، لكني ظللت لا أصدق!

فعاودت الاتصال بالأستاذ، وقلتُ لنفسي، ربما يعيد التفكير مرة أخرى، ويختار شخصًا آخر يمثله، ويتسلم الجائزة نيابةً عنه، خصوصا أن البعض عندما علم باختياره لي، لم يَرُقْ لهم

الاختيار، وتمنوا أن يكونوا مكاني، وصارحته بما في قلبي فجاءت إجابته قاطعة وواضحة وحاسمة: «أنا قلت أنت اللي هتسافر يعني أنت اللي هتسافر.. أنا حابب أنك تشاركني هذه الفرحة».. فعجز لساني عن النطق، والشكر.

«٤»

لكن شاء القدر أن يرحل أحمد رجب قبل أن يعرف أن رفيق رحلته قد رحل إلى الدار الآخرة!

لم يستطع أحد أن يبلغه أن صديقه قد سبقه، لأنه حين انتقل مصطفى حسين إلى دار البقاء كان أحمد رجب يرقد في غرفة العناية المركزة التي ظل بها قرابة الستين يومًا، وكان الجميع ينتظر أن يسترد صحته وعافيته ويعود إلى بيته ليبلغه نبأ رحيل رفيق الأربعين عامًا الماضية منذ التقيا عام ١٩٧٤.

رحل أحمد رجب الأستاذ الذي تشرفتُ بصداقته، والإنسان الذي تعلمتُ من تواضعه ووفائه وإخلاصه وصدقه وعدم سعيه لمال أو شهرة أو سلطة، كان مكتفيا بأن يقول ما يعتقد دون أن ينتظر المقابل، فلم يشغله الثناء أو السباب، كان يقول لي دائما: «أنا أدفع ضريبة ما أؤمن به، وقد أكون على صواب وقد أكون مخطئًا لكن مَن يهاجمني لم يفكر ماذا يفعل لو ثبت أني على حق.. ولا أريد من أحد أن يتصدر للدفاع عني، فلست عاجزًا عن الرد»!

لكن المدهش أن الأستاذ أحمد رجب قد نعى نفسه بنفسه قبل وفاته قائلا:

«أوصيت الأقربين بأن لا يُنشر نعي عند وفاتي، فبيني وبين

صفحات الوفيات خصومة شديدة، فهي في رأيي حقل خصب للنفاق الإداري والاجتماعي والنصب أيضا!

كأن يكتب نصاب لا يعرف المتوفَّى بضعة سطور حزينة ينعي فيها صديقه ورفيق عمره فلان، ثم يتوجه إليه معزيًا وهو ينزف الدمع الهتون، وينجلي الأمر بقوله إن المتوفَّى مدين بألف جنيه دين شرف في لعب البوكر، وإن الله يرحمه كان شريفًا جدًّا في لعب الورق وعمره ما غشّ!

ولقد كانت أول صحيفة مصرية أدخلت هذه البدعة هي جريدة (الوقائع المصرية)، إذ نُشر بها أول نعي عن وفاة إحدى بنات محمد علي باشا تحت عنوان (ارتحال بنت أفندينا وليّ النعم من دار الفناء إلى دار البقاء)، وقال كاتب النعى (إن القلم في يدي يزفر ويبكي حزنًا على حضرة المعصومة والدرة المعدومة فرع الأصل الأصفى)، ويلاحَظ أن وفيات جريدة (الوقائع) اقتصرت على أفراد الأسرة الحاكمة، وكان النعي مقصورًا على نشر الخبر دون أن يُنشر بجوار الخبر ذلك البكاء المصطنع من المنافقين والنصابين.

وإذا كانت صفحة الوفيات لم تظهر في صحافة الغرب، فإن الغربيين يناجون المتوفَّى في لوحات توضع على القبور بدلا من سطور الصحيفة، وتضم هذه اللوحات أحيانًا ما يثير الضحك في موقف بعيد تمامًا عن الضحك، فهذه مثلا لوحة في بروك فيلد بولاية كونكتيكت أوصى الزوج بكتابتها قبل مماته (هنا يرقد جون فليبروك وزوجته ظهرًا لظهر، وحين يُنفخ في الصور يوم القيامة ستنهض هي ولكني لن أنهض حتى لا أراها).

وفي سيلبى بمقاطعة يوركشاير بإنجلترا (هنا ترقد زوجتي، وأكون كاذبًا لو قلت إني حزين ،عليها فقد كانت عديمة التربية

سـليطة اللسـان).

وفي مدينـة لينكولـن كتبـت زوجـة (هنـا يرقـد جـيرد بيتـس الـذي تعيـش أرملتـه في شـارع إيلـم رقـم ٦ وهـي في الرابعـة والعشريـن مـن عمرهـا ولديهـا كل مقومـات الزوجـة العظيمـة المريحـة). ولوحـة أخـرى (هنـا ترقـد سـينثيا سـتيفنز زوجتـي، عاشـت سـت سـنوات في الهمـوم والمنازعـات وأخـيرًا اسـتراحت وكذلـك أنـا).

ويبـدو أن أرملـة السـيد جيمـي ويـت كانـت في شـدة البخـل، إذ كتبـت عـلى قـبره في فولكـيرك بإنجلـترا (مـات ذات صبـاح في السـاعة التاسـعة فوفَّـر بذلـك وجبـة الغـداء ووجبـة العشـاء يـوم وفاتـه).

وفي ميـدواي لوحـة تقـول (هنـا يرقـد العـم دانيلـز، للأسـف خلـع فانلتـه الشـتوية مبكـرًا قبـل حلـول الصيـف).

وفي بدفـورد بإنجلـترا (هنـا يرقـد مسـتر دادلي وزوجتـه التـي كانـت متفوقـة عليـه دائمًـا، ولكـن انظـر كيـف هزمهـا المـوت).

ولأن الأمريكيـين مـن هـواة التقاليـع فـإن الحانوتيـة يعرضـون عـلى أهـل المتـوفَّى أبياتًـا شـعرية ممكـن وضعهـا عـلى اللوحـة حسـب الأحـوال مثـل (هنـا يرقـد فـلان كان قويًّـا وعظيـمًا لكـن فرامـل السـيارة لم تكـن كذلـك).

ومـن أغـرب اللوحـات لوحـة تقـول (صـدِّق أولا تصـدِّق.. هنـا يرقـد رجـل شريـف)!

أمـا في صحفنـا فقـد نـشرت زوجتـه هـذه المناجـاة في صـورة هـذا التهديـد (يـا حبيبـى ارقـد في سـلام وهـدوء.. حتـى التقـي بـك)»!

عمك محمود

«١»

«زمان كان مدرّس الحساب يعتقد أنني حمار وكنت أعتقد أنني عبقري، وبعد فترة طويلة من الزمان اكتشفت أن المدرس كان على خطأ، واكتشفت أيضًا أني لم أكن على صواب، فلا أنا عبقري ولا أنا حمار، بصراحة أنا مزيج من الاثنين، العبقري والحمار.. أنا حمقري!

ولأني حمقري، فقد كنت أظن أن كل رجل ضاحك رجل هلاّس، ولأنني حمقري كنت أرفع شعارًا حمقريًّا (أنا أضحك إذن أنا سعيد) وبعد فترة طويلة من الزمان اكتشفت أن العكس هو الصحيح، واكتشفت أن كل رجل ضاحك رجل بائس، وأنه مقابل كل ضحكة تفرقع على لسانه تفرقع مأساة داخل أحشائه، وأنه مقابل كل ابتسامة ترتسم على شفتيه تنحدر دمعة داخل قلبه».

هكذا وصف السعدني نفسه، فهو كاتب يختمر الحزن في قلبه، ليُخرجه لنا ضحكًا، وأدبًا، وفنًّا، وسخريةً، فهو ليس كاتبًا فحسب بل هو أُمة من الكُتاب والمثقفين والمفكرين والمبدعين والساخرين؛ لذا لم أحزن أنني لم ألتقِ كاتبًا مثل حزني أنني لم أجلس بصحبة العم محمود السعدني رغم أنه متاح أن تقابله في نادي نقابة الصحفيين حيث يقابل أي أحد يطرق بابه، لكني عرفت الطريق متأخرًا بعد أن تمكَّن منه المرض وصار لا يغادر

بيته، وحين كرَّمته نقابة الصحفيين، ذهبتُ فرِحًا بأني سأراه في احتفالية النقابة لكنه لم يأتِ، ويومها وقف أخوه الفنان صلاح السعدني قائلا: «طبعا أنتم الآن كمن ينتظر محمد عبد الوهاب فجاء إليه شعبان عبد الرحيم»!

«٢»

لكن قبل قرابة نصف قرن من هذه الواقعة وتحديدًا في عام ١٩٤٦ بدأ محمود السعدني حياته الصحفية في جريدة كان مقرها إسطبلا لحمير أحد المماليك البحرية!

لكن حياته تغيرت حين ذهب إلى مأمون الشناوي في مجلة «كلمة ونص» واستقبله مأمون بلا مبالاة ولم يرحّب به، وقال له: «عاوز تكتب؟»، ولما أجاب بالإيجاب، تساءل في تهكّم: وبتعرف تكتب؟ فأجابه: نعم، فأشار إلى مكتب أمامه وقال: «اقعد كده ورّيني».. ورغم ارتباكه الشديد وخوفه من الفشل في أول امتحان حقيقي يواجهه فقد كتب عدة أوراق بسرعة، وعندما ألقى الشناوي عليها نظرة قال وهو يتفحصه: أنت اسمك إيه؟ فهتف على الفور: محمود السعدني، فسأله وهو يشعل سيجارة: أنت عارف السعدني يعني إيه؟ ولما أجابه بالنفي، قال: السعدان يعني القرد، والسعدني يعني القرادتي!

وفكر السعدني أن يلعن جدوده وينصرف، لكنه تسمَّر في مكانه كالتمثال لا يتكلم ولا يتحرك حتى قال له مأمون: «ابقى فوت علينا تاني!».

وفي العدد التالي من المجلة وجد السعدني ما كتبه منشورًا، فعاد للشناوي، وأصبح محررا براتب ستة جنيهات، وصارت

بينهما صداقة طويلة وممتدة.

وفي عام ٤٨ قرر الولد الشقي التطوع في الجيش والذهاب إلى حرب فلسطين بصحبة صديقه الفنان طوغان، لكن بعد الكشف عليهما تم رفض السعدني، لأنه كان دقيق الحجم، فقال طوغان للقائد: «أنا ماينفعش أروح أحرر فلسطين لوحدي من غير السعدني»!

وعادا معًا، واستمرت صداقة العمر، وحين سمعا بيان ثورة يوليو طارا فرحًا، وخلع السعدني حذاءه ليُقبّله، وأصبح مندوبًا لمجلته في القيادة العامة، لأن المسؤولين عنها لم تكن لديهم قناعة بالثورة، لذا قررت المجلة أن تُرسل أقل المحررين شأنًا!

وحين وقع العدوان الثلاثي كان الولد الشقي في سوريا، ولكن انقطعت الصلة بين مصر وسوريا، فأسس مجلة هناك لمناصرة مصر، وفي هذا الوقت نشأت بينه وبين السياسيين في سوريا علاقة قوية ومنهم خالد بقداش، وكان زعيم الحزب الشيوعي، فأعطى خالد خطابًا للسعدني ليسلمه لعبد الناصر، لكن صديقه طوغان نصحه بتمزيقه، ولكن الولد الشقي أصر وذهب إلى الرئاسة وسلَّم الخطاب، فتم اعتقاله، ويومها سألوه عن التنظيم الذي ينتمي إليه فقال لهم: «زمش» فتعجب الضباط لأنه لا يوجد تنظيم بهذا الاسم فقال لهم: «لأني لا شيوعي، ولا إخوان، ولا أي حاجة».

«٣»

ورحل عبد الناصر، وجاء السادات، وتجددت الاتهامات للسعدني، وتم استجوابه من النائب العام على أنه شارك في مؤامرة لقلب نظام الحكم، لكن بعد التحقيق الذي استمر يومين تم الإفراج عنه، لكن في ذات التوقيت صدر قرار من الرئيس السادات بفصله من «روزاليوسف»، ومنع نشر اسمه في الصحف بسبب عدة نكت رواها لأحد أصدقائه عن الرئيس!

وتم تعيينه في «المقاولون العرب»، لكنه رفض قائلا: «لقد كنت صحفيًّا، وسأبقى صحفيًّا، وسأموت صحفيًّا، وسأُبعث يوم القيامة في كشف نقابة الصحفيين»، وسافر وعاش سنوات من النفي الاختياري انتقل خلالها من بلد إلى بلد «بلاد تشيل وبلاد تحط» حتى عاد إلى مصر بعد رحيل الرئيس السادات.

السعدني تخصص في نقد السلطة، والسخرية من أفعالها، والضحك على منافقيها وأفاقيها، فصارت كتبه مُتحفًا أنيقًا يضمّ قطعًا أدبية تُشرِّح الحُكَم، ومن فيه. ولعل أكثر الكتب التي شرحت ما يجرى في مصر كان كتابه «عودة الحمار» وتحديدًا تلك القطعة التي يقول فيها: «ليس للمواطن في بلاد الحمير إلا أن يمشي وراء الرئيس، فهناك متناقضات كثيرة في العصر الحميري، منها أن لدينا ديموقراطية واسعة وبلا حدود في كل شيء إلا في السياسة!

في المرور تستطيع أن تمشي على اليسار أو على اليمين، لا شيء يهمّ، وفي الدنيا كلها ممنوع استعمال الكلاكسات منعًا باتًّا؛ للتلوث السمعي، وفي بلاد الحمير توجد أعظم فرقة موسيقية في

العالم وهي السيارات التي تجرى على الطريق.

العكس تمامًا يحدث في السياسة؛ ليس أمام المواطن إلا التطرف، من حقك أن تطيل ذقنك حتى تصل إلى رُكَبك، ومن حقك أن تربّي شعر حواجبك ورموش عينيك وتصبح درويشًا ومن حقك أن تكون متطرفًا حكوميًّا وتموت حبًّا في الحكومة، أما إذا أردت الوقوف في الوسط فنهار أبوك أزرق، لن تحصل على بلح الشام أو عنب اليمن».

«٤»

أشعر أن لقب «عمنا» خُلق من أجل محمود السعدني، وأشعر أنه الأحق دائمًا بهذا اللقب رغم كثرة الأعمام، فهو عمك قولا وفعلا، رضيتَ أم لم ترضَ، أحببتَه أم اختلفتَ معه.

فمصر في نظر المحترفين سلسلة طويلة من الأمراء والملوك والسلاطين، ولكنها في نظر عمنا محمود السعدني مجموعة متصلة من الأجيال و«الصيّع» وأصحاب الحاجات والمتشردين!

مصر في زمن السلاطين لم تكن قلاوون أو قطز أو عز الدين أيبك أو علي بك الكبير، ولكنها كانت الحرافيش والحشاشين. ومصر أيام عبد الناصر لم تكن الرئيس ونوابه، ومدير المخابرات وأجهزة الاتحاد الاشتراكى، ولكنها كانت العمال والفلاحين والرأسمالية الوطنية والجنود والمثقفين. ومصر أيام السادات لم تكن الرئيس وزعماء المنابر أو تجار الشنطة وأصحاب بوتيكات شارع الشواربي وأصحاب الكباريهات ورواد الحانات، لكنها كانت ملايين الشحاتين والمتسولين والذين يعانون المرض وخيبة الأمل والجوع.

هـذا هـو الفـارق بـين أن تقـرأ تاريـخ مـصر لكاتـب بقيمـة وقامـة وثقافـة وعلـم ورؤيـة وموسـوعية وألمعيـة وخفـة ظـل وصـدق وإخـلاص الولـد الشـقي محمـود السـعدني، وأن تقـرأه مـن محـترفي كتابـة التاريـخ، فالسـعدني ينظـر نظـرة رجـل مـن الشـارع غـير متخصـص وغـير كمسـاري -عـلى حـد تعبـيره- وعـلى غـير علاقـة رسـمية بالتاريـخ!

هـذه هـي الميـزة الأعظـم في كتـب السـعدني بوجـه عـام، وبصفـة خاصـة في كتابـه «مـصر مـن تـاني» الـذي يجـب أن يلتفـت إليـه القائمـون عـلى التعليـم ليتـم تدريسـه، إلا إذا كانـت هنـاك سياسـة تفـرض أن يكـون كتـاب التاريـخ ثقيـل الظـل، قليـل المعرفـة، يحتـوي عـلى القشـور، ولا يحـوي إلا تاريـخ الرؤسـاء والملـوك، وأن يكـون تاريـخ الحـكام هـو تاريـخ الدولـة، وأن الشـعوب يجـب أن لا تظهـر في كتـاب التاريـخ!

السـعدني يكتـب مـا ينطقـه، ويُطـوِّع اللغـة لخدمـة أفـكاره، وفي حضرتـه ينـسى الجميـع تمامًـا أنهـم قـادرون عـلى الـكلام، فـأي متكلـم فيهـم لا بـد أن يصيبـه الإحبـاط في الحـال، إذ هـو لا يملـك شـيئًا ولـو يسـيرا مـن خفـة الظـل هـذه، ولا كل هـذا الـثراء مـن الحكايـات والمواقـف والتجـارب، ولا هـذه القـدرة عـلى ربـط كل هـذه البـوارق بعضهـا ببعـض في لغـة سـحرية مبهـرة؛ لهـذا يفضـل الجميـع الصمـت والإنصـات.

رجلٌ حدثَ بالفعل!

«١»

المعجزة: أمر خارق للعادة.

وهذا بالضبط ما فعله العم جلال عامر!

الرجل الذي بدأ حياته بعد الخمسين، وفي خمس سنوات صنع مجدًا يعيش دهرًا، وابتكر أسلوبًا جديدًا في الكتابة الساخرة، فبدا كأنه حاوٍ، يُظهر كلمات ويخفي أخرى، يجعل عينك تقع على الجملة التي يريد أن تقرأها، كلمة تخاطبك وأخرى تخاطب مَن يجلس بجوارك، وثالثة تخاطب زوجتك، ورابعة تخاطب من يجلس فوق كرسيّ السلطة!

هكذا كان يكتب، فكل كلمة طلقة تعرف هدفها، ولا تخطئه أبدًا، وتذهب في الاتجاه الذي حدده لها بالضبط، ربما لأنه تربَّى على حمل السلاح، والتصويب الدقيق لمدة جاوزت العشرين عامًا، فصارت لديه القدرة على أن يصوّب وهو مغمَض العينين، وتلمح ذلك في قوله: «كنا نزرع سيناء بالمقاومة والآن نزرعها بالحشيش»!

عبقرية العم جلال أنك لا تستطيع التنبؤ بما سيصل إليه في نهاية المقال؛ فهي مجرد «تخاريف» إن أردت أن تحاسبه عليها، وهذه ميزة مَن دَرَسَ القانون، وعرف خباياه واستخدمها فقط لحماية نفسه وفنه وأدبه، وليس لتكدير حياة الآخرين، لذلك عندما تسيطر الكآبة والمكتئبون تزداد الحاجة إلى العم جلال،

وعندما تزداد مساحة الضباب ترجع إلى ما قاله حين سأل أحد ركاب الأوتوبيس الجالس بجواره: «إحنا رايحين على فتنة طائفية أم على ثورة جياع؟» فرد الرجل: «ما أعرفش والله، اسأل الكمسري».

«٢»

هذا رجلٌ حَدَثَ بالفعل!

فلا أظن أن الأجيال القادمة يمكن أن تُصدق حقيقة هذا الرجل الذي صنع شهرته ونجوميته وتألقه وتفرده في خمس سنوات فقط.

فقد ظل يعمل ظابطًا فى الجيش حتى سن التقاعد، ودرس خلال هذه السنوات «القانون» في كلية الحقوق و«الفلسفة» في كلية الآداب، ثم اتجه إلى الكتابة في مجالي القصة القصيرة والشِّعر في جريدة «القاهرة»، وبعدها عمل في صحفيتَي «التجمع» و«الأهالي» لكن ظهرت قدراته الحقيقية في عام ٢٠٠٧ عندما بدأ الكتابة اليومية في جريدة «البديل»، فانتقل إلى «الدستور» وتألق بصفحة أسبوعية ثم لمع في «المصري اليوم» وتصدَّر المشهد حتى رحل في ٢٠١٢.

المدهش أن طريقه وطريقته لم يتغيرا، فالكتابة في صحف يقرؤها خمسون قارئًا ولا تعطي له راتبًا -إلا قليلا- لا تختلف عن الكتابة في صحيفة يقرؤها مئات الآلاف من القراء.

فالإبداع عند عمنا جلال عامر لا يتوقف على ارتفاع سعر الدولار أو على عدد القراء، فقد كان يبدع لأنه يُمتع نفسه أولا قبل أن يستمتع قارئه بما يكتبه، ربما لذلك يقول: «مَن

يتابع الصحف هذه الأيام، فسوف يتأكد أننا انتقلنا من مرحلة القراءة للجميع إلى مرحلة الكتابة للجميع».

لكن أظن أن أهم ما فعله جلال عامر هو أنه أعطى أملا لأجيال لم تأتِ بعد، أن الحياة يمكن أن تعطيك ما تستحقه يومًا حتى لو كنت قد قاربت على الستين من عمرك، فقد امتلك موهبة يمكن أن تحجب الشمس عن أجيال سابقة ولاحقة، لكنه لم يتعجل الفرصة، وحين أتت انفجر بركان مواهبه، ولم يعد ممكنا أن يقف أمامه أحد، وخرجت طاقاته الإبداعية دفعة واحدة.

هذا رجل إن لم يكن من أولياء الكتابة الصالحين ربما صار من الأولياء أصحاب الكرامات والمقامات والدراويش، فلا أظن أنه كان يبحث عن كلام يكتبه، فالكلام هو الذي يبحث عنه، وأعتقد أنه كان لا يلهث خلف الأفكار، فالأفكار كانت تذهب إليه طائعة، خاضعة، راضية، وسعيدة.

هذا رجل عاش صابرًا ومثابرًا وصبورًا لم يتعجل الشهرة، ولم يلهث خلف الأضواء، ولم يحاور أو يناور أو يراوغ أو يتاجر أو يبالي بما سيحدث له بسبب ما يكتبه، لكنه كان يرى بقلبه قبل قلمه، ووضع يده على أُسّ البلاء، إذ يقول: «في بداية القرن التاسع عشر بدأت مصر نهضتها مع اليابان، ثم حدث أن اليابان انضربت بالقنابل الذرية، ومصر انضربت بالتعصب الديني، فحدث الفارق».

«٣»

نحن الشعب الوحيد الذي يستخدم «المخ» في الساندويتشات!

هكذا يقول العم جلال، وأظن أننا لو استخدمنا المخ في شيء آخر لتبدلت الأحوال، وما تكررت ذات الأحداث بنفس التفاصيل التي جرت منذ يوم الجمعة ٢٥ سبتمبر ١٩٥٢.

في هذا التوقيت كان قد مر شهران على قيام ثورة يوليو، وتم اختيار شعار العهد الجديد «الاتحاد، والنظام، والعمل».

.. والتحق محمود السعدني بالعمل في مجلة «الكشكول»، واستقر أحمد رجب في «أخبار اليوم»، وحصلت فاتن حمامة على جائزة أحسن ممثلة.

.. وكشف مصطفى أمين في مقال في «أخبار اليوم» أن قائد الثورة هو جمال عبد الناصر، وذلك من خلال سلسلة مقالات تحت عنوان «سر الضباط التسعة» فغضب جمال عبد الناصر لذلك، وأمر الرقيب بعدم نشر بقية المقالات.

.. وصدر قرار بالعفو عن المتهمين بقتل المستشار الخازندار، والنقراشي، وذلك في إطار مصالحة ثورة يوليو مع الإخوان!

.. وصدر قانون تنظيم الأحزاب الذي نصَّ على قيام كل حزب بتطهير نفسه، أي إقصاء الأحزاب سيئة السمعة، وتقدم فتحي رضوان بإخطار إعلان قيام الحزب الوطني الجديد.

وسط هذه الأجواء الملتهبة وُلد العم جلال عامر الذي شاء القدر أن يرحل في أجواء مشابهة تمامًا!

فقد رحل في ١٢ فبراير عام ٢٠١٢ في اليوم التالي للذكرى الأولى لثورة يناير، وبعد أن صار واضحًا للجميع أن الثورة قد

انحرفت عن مسارها، وسارت في الاتجاه المعاكس، بفضل جماعة الإخوان وحلفائها، وبمساعدة المشير حسين طنطاوي والفريق سامي عنان.

لكن قلب صاحب القلب الأنقى لم يتحمل ما جرى فسقط مغشيًّا عليه، رغم أنه تحمَّل كثيرًا؛ فقد شارك في الحرب، وما أدراك ما الحرب، لكن في الحرب العدو واضح، بينما في الثورة بدا الأمر كأنه لا شيء واضحا على الإطلاق، ربما لذلك يقول: «كل شعوب العالم لا تعرف ماذا يحدث في المستقبل إلا الشعب المصري لا يعرف ماذا يحدث الآن».

العم جلال عامر مر كالطيف بيننا لنعرف أن المعجزات امتدت إلى عصرنا، ربما لذلك كان يدرك أنه سيأتي فجأة وسيختفي فجأة.. وقد حدث!

جبال من الإنسانية

«دائمًا يظل الحظ العاثر يمهِّد لحظٍّ سعيد، والحظ السعيد يمهِّد لحظٍّ عاثر؛ فأهلُ الحكمة لا يُغالون في الحزن، ولا يغالون أيضًا في الابتهاج».

عبد الوهاب مطاوع

رجل جعل للقلم قلبًا!

«١»

روى حكيم صيني أن شيخًا كان يعيش فوق تلّ، ويملك جوادًا وحيدًا محببًا إليه ففرّ جواده، وجاء إليه جيرانه يواسونه لهذا الحظ العاثر فأجابهم بلا حزن: وما أدراكم أنه حظٌّ عاثر؟

وبعد أيام قليلة عاد إليه الجواد مصطحبًا معه عددًا من الخيول البرّية فجاء إليه جيرانه يهنئونه على هذا الحظ السعيد فأجابهم بلا تهلل: وما أدراكم أنه حظٌ سعيد؟

ولم تمضِ أيام حتى كان ابنه الشاب يدرّب أحد هذه الخيول البرّية فسقط من فوقه وكُسرت ساقه وجاؤوا إلى الشيخ الحكيم يواسونه في هذا الحظ السيئ فأجابهم بلا هلع: وما أدراكم أنه حظ سيئ؟

وبعد أسابيع قليلة أُعلنت الحرب وجندت الدولة شباب القرية والتلال، وأعفت ابن الشيخ من القتال لكسر ساقه فمات في الحرب شبابٌ كثيرون.

وهكذا دائمًا يظل الحظ العاثر يمهِّد لحظ سعيد، والحظ السعيد يمهِّد لحظ عاثر، فأهل الحكمة لا يُغالون في الحزن، ولا يُغالون أيضًا في الابتهاج.

هذه هي قناعات الكاتب الكبير والأديب البديع والإنسان المبدع عبد الوهاب مطاوع، الصحفي الذي جعل من بريد القراء أدبًا راقيًا، ورقيقًا، ومهمًّا، ومؤثرًا، ومسيطرًا، وقادرًا على

تشخيص آلام الناس، والبحث عن علاج يُسكن أوجاعهم، منذ أن تسلم «بريد الجمعة» عام ١٩٨٢، وبدأت رحلته مع هموم القراء، فصار «البريد» أهم نافذة للقراء في الصحافة المصرية والعربية.

استخدم عبد الوهاب أسلوبًا راقيًا في الرد على الرسائل التي يختارها للنشر من آلاف الرسائل التي تصله أسبوعيًّا، وأحبَّ القارئ، ولم يتعالَ عليه، ولم يسفِّه من مشكلاته، ولم يضخِّم من أخطائه، ولم يخاطب القارئ يومًا من برج عاجي باعتباره الحكيم العليم، ولم يتعامل مع القارئ باعتباره أقل قامة وقيمة لكنه كان يفكر مع قارئه، ويحاول بصدق أن يجد حلا يَصلُح، ويُصلِح حياته، لذلك كان بمثابة الولي لمريديه من القراء الذين ينتظرون رأيه، ورؤيته، ومشورته وخبرته، وحكمته في أدق تفاصيل حياتهم، صباح كل جمعة في جريدة «الأهرام»، لذلك عندما رحل في أغسطس من عام ٢٠٠٤ كان هذا بمثابة الصدمة لهؤلاء المريدين الذين اعتبروا أنه برحيله لم يعد هناك مَن يمكن الوثوق به.

لم يتاجر بآلام أحد، وإنما ظلَّ كالجبل يحمل هموم البسطاء ويسير بها أينما ذهب، ويحاول حلها كلما أمكن.

«٢»

لكن لو لم يفعل سوى أنه جمع في تجربة واحدة محمود السعدني وأحمد رجب وأنيس منصور ومصطفى محمود وأحمد بهجت وسلامة أحمد سلامة، وغيرهم من أولياء الكتابة وجبابرتها، لكان هذا النصر يكفيه ويكفينا، وتهانينا!

هـذا بالضبـط مـا فعلـه عبـد الوهـاب مطـاوع حـين تـولى رئاسـة تحريـر مجلـة «الشـباب» وجعلهـا واحـدة مـن أهـم وأفضـل وأمتـع المجـلات في الوطـن العـربي، وتـربَّى عليهـا جيـل بأكملـه ظـل لفـترة طويلـة لا يعـرف سـواها ولا يـدرك أن لهـا بديـلا، وظهـرت قبلهـا وبعدهـا مجـلات كثـيرة لكـن لم يسـتطع أحـد أن يصـل إلى مـا وصلـت إليـه مـن رُقـيٍّ مهنـي يصعـب تكـراره.

فأنـا مـن جيـل قـرأ مجلـة «الشـباب» منـذ أيـام المدرسـة، لكنـي تعرفـت عـلى كتـب عبـد الوهـاب مطـاوع في الجامعـة، وأذكـر جيـدا المـرة الأولى التـي قـرأت فيهـا للأسـتاذ عبـد الوهـاب مطـاوع، حينـذاك كنـت في الطريـق إلى قنـا، ويومهـا كانـت المـرة الأولى التـي أدرك أنـه يمكـن أن تنتهـي مـن قـراءة كتـاب في جلسـة واحـدة لا تسـتغرق سـوى سـاعتين، كان هـذا الكتـاب هـو «صديقـي لا تـأكل نفسـك»، ولا أعـرف كيـف عـرف أننـي كنـت أأكل نفـسي في هـذه اللحظـة! لكنـي عـلى كل حـال اسـتجبت لـه، وتعلمـت منـه، وقـررت قـراءة كل مـا أُتيـح لي مـن أعمالـه، وقـرأت أغلـب كتبـه، ومنهـا «أصدقـاء عـلى ورق» و«صديقـي مـا أعظمـك» و«انْدهِـش يـا صديقـي» و«يوميـات طالـب بعثـة» وغيرهـا، وتعلمـت منهـا كثـيرًا، وأدركـت أنـه لا يمكـن قـراءة كتـب عبـد الوهـاب مطـاوع إلا إذا كان هنـاك قلـم بصحبتـك، فـكل كلمـة يكتبهـا كنـت أشـعر بحاجـة إلى تدوينهـا في أجنـدة خاصـة أعـود إليهـا مـن وقـت إلى آخـر.

لكـن المدهـش أننـي أصبحـت مدمنًـا شراء كتبـه، لدرجـة أننـي كنـت أشـتري مـن الكتـاب الواحـد أكـثر مـن ٥ نسـخ، لأقـوم بتوزيعهـا عـلى أصدقـائي في الجامعـة، لأني شـعرت أن القـراءة تبـدأ مـن عنـد هـذا الرجـل.

«٣»

لكن قيمة عبد الوهاب مطاوع الحقيقية أنه جعل للقلم قلبًا!

فقد كان إنسانًا عظيمًا قبل أن يكون صحفيًّا كبيرًا، لكن أهم ما ميَّزه وجعله يجلس في مساحة وحده هو الاندهاش!

نعم، فالدهشة هي مفتاح شخصيته، وهي أيضًا بمثابة الباب الذي رأى عبر نافذته حلول المشكلات العظيمة، والهموم الكبيرة التي يواجهها القراء، ويوجهونها إليه، فقد كان يقول دائمًا «اندهش أنت أيضًا يا صديقي لكل ما تراه وتسمعه، فالدهشة بداية الطريق للمعرفة».

هذه هي الحقيقة التي وهبها الله لعبد الوهاب، منذ أن كان طالبًا في كلية الآداب بجامعة القاهرة التي تخرج فيها عام ١٩٦١، ليعمل بعدها محررًا صحفيًّا بقسم التحقيقات بجريدة «الأهرام» بعد أربع سنوات فقط من تولّي الأستاذ محمد حسنين هيكل رئاسة تحريرها، واجتهد عبد الوهاب ولمعت موهبته، وظهرت على كتاباته، وترقَّى في درجات جريدة «الأهرام» حتى أصبح سكرتيرا لتحريرها عام ١٩٨٢، ثم نائبا لرئيس التحرير عام ١٩٨٤، ثم مديرا للتحرير ورئيسا للديسك المركزي بالجريدة.

وهكذا ظل عبد الوهاب يصعد سلم المجد المهني درجة درجة، لكن في كل خطوة كان يؤكد موهبته الاستثنائية في الكتابة والإدارة، لكن من أكثر الأشياء التي تأثر بها مطاوع -وتأثرتُ بها- هو ما قاله عباس العقاد لصالح جودت حين سأله: ماذا

تقـرأ الآن يـا أسـتاذنا؟ فأجـاب: أقـرأ كتابًـا عـن الممثلـة الفرنسـية بريجيـت بـاردو. فـردّ صالـح جـودت مندهشًـا: الأسـتاذ العقـاد يقـرأ بريجييـت بـاردو؟!

فقـال العقـاد: نعـم، فليـس هنـاك كتـاب أقـرؤه ولا أسـتفيد منـه شـيئًا جديـدًا فحتـى الكتـاب التافـه أسـتفيد مـن قراءتـه، أني تعلمـت شـيئًا جديـدا هـو مـا التفاهـة؟ وكيـف يكتـب الكتـاب التافهـون؟ وفيـمَ يفكـرون!

نريدُ حلاً!

«١»

التقيتُ المبدعة حُسن شاه وأجريت معها حوارًا في بيتها، وكان ذلك في الوقت الذي امتنعتْ فيه عن الكتابة في «أخبار اليوم» بسبب ممتاز القط رئيس التحرير آنذاك، فسألتها عن سر الخلاف والامتناع عن الكتابة وعن عدم ذهابها إلى الجريدة التي شاركتْ في بنائها، فقالت لي بنبرة قاطعة وحادة: «مش أنا اللي أتكلم عن خلاف مع واحد من دُور أولادي.. أنا كنت باروح الجورنال لما كان فيه التابعي ومصطفى وعلي أمين وهيكل والحمامصي وأحمد بهاء الدين وأنيس منصور.. دلوقتي الوحيد الذي بقيَ من هذا الجيل هو أحمد رجب ونادرًا ما يذهب إلى الجورنال»!

وبعد أن أنهينا الحوار أهدتني سيرتها الذاتية -التي كتبها الناقد طارق الشناوي- قائلة: «إلى ابني في الصحافة محمد توفيق، أهدي إليك سيرتي الذاتية علَّها تعطي لك صورة عن كفاح جيل من الأمهات من الصحفيات في مهنة البحث عن المتاعب».

فقد عاشت، رحمها الله، طوال حياتها مخلصة ووفية وصادقة في مشاعرها تجاه قارئها، فكانت تحترق وتتألم وتبكي بحرقة وتتوجع مع كل رسالة لا تجد لها حلا، لدرجة أن الأطباء نصحوها بالابتعاد عن قراءة رسائل القراء حتى لا يتأثر قلبها،

فكانت تعيش مع القارئ مأساته، وكان الفاكس الذي يرسل عليه القارئ همومه وشجونه هو فاكس بيتها!

كانت حُسن شاه تبحث عن حلول للمشكلات على أرض الواقع لا على الورق، وفارق كبير بين الاثنين، فالحلول على الورق أسهل وأيسر وأسرع ودون جهد، لكن الحلول على الأرض تحتاج إلى عرق ودم، لكنها اعتادت ذلك منذ أن تخرجت في كلية الحقوق، حينذاك حدثت صدفة غيَّرت مسار حياتها.

فقد اختارت فور تخرجها في كلية الحقوق أن تمارس مهنة المحاماة، وبالفعل التحقت بأحد مكاتب المحاماة وعملت محامية تحت التمرين، لكن في هذا التوقيت التقت على غير موعد زميلها في الكلية الذي كان يكبرها بعامين، وعرض عليها أن تعمل في الصحافة ففكرت ودرست الأمر ثم وافقت وذهبت معه لتعمل في مجلة «الجيل» التي قد صار نائبا لرئيس تحريرها.

كان هذا الزميل هو الساخر الكبير أحمد رجب، وطلب منها أن تُجري أول حوار لها في الصحافة مع رجل يوناني يعمل بالصناعات اليدوية الفنية، ثم اقترحتْ أن تُجري حوارا آخر مع زميلة لها فاتنة الجمال تشبه النجمة سوزان هيوارت، فصارت غلافًا للمجلة، فطلب منها أحمد رجب أن تكتب اسمها على الموضوع، فوقَّعت باسمها الثلاثي «حُسن شاه الهاجع»، فضحك أحمد رجب، وقال لها: «إذا كان حُسن شاه لوحده اسم مكلكع، وكمان الهاجع»!

وبعد شد وجذب امتثلت لكلامه، واكتفت بـ«حُسن شاه» فغضبت عائلتها غضبًا ظل سنوات طويلة عالقًا بالأذهان لأنها تجاهلت اسم العائلة، لكنها انطلقت في رحلة البحث عن

المتاعب، ولفتت الأنظار، والتقت مصطفى وعلي أمين، وأثنيا عليها، وصارت أحد من يُعتمد عليهم داخل مؤسسة «أخبار اليوم»، التي كانت مجلة «الجيل» جزءا منها، وتنقلت بين مطبوعات «أخبار اليوم» وتألقت، وكان حماسها هائلا، لدرجة أنها ذهبت إلى خط النار، حيث شاركت في عملية فدائية ضد العدوان الإسرائيلي في أعقاب هزيمة ٦٧.

لكن المدهش أنها لم تكن مراسلة عسكرية، بل كانت فقط تريد أن تنقل بالقلم والكاميرا إلى القراء حقيقة ما يجري في الضفة الغربية دون تكليف من الجريدة، وفجأة وجدت نفسها تزحف على الأرض بجوار الفدائيين الفلسطينيين، وتحمل بين يديها مدفع كلاشينكوف، وتطلق النار على العدو، وعاشت بين الأبطال على خط النار باسم «أم العبد»، وحين عادت لم يصدق أحد ما فعلته الصحفية الشابة، وصارت ملء السمع والبصر، وصار ما فعلته حديثًا يُروى بين الناس.

«٢»

قبل ذلك بسنوات كان اسمها قد لمع بفضل أم كلثوم!

ففي نهاية الخمسينيات كانت أم كلثوم قد قررت أن تقيم حفلة في بلدتها المنصورة بمناسبة العيد القومي للمحافظة، وطلبت من علي أمين أن تصطحب معها في هذا الحفل حُسن شاه، فوافق رئيس التحرير، وذهبت حُسن بصحبة أم كلثوم وفي سيارتها الخاصة إلى المنصورة، لكن بمجرد أن وصلت هناك، ورغم الود الشديد الذي كان بينهما طوال الرحلة، لكن شيطان الصحافة سيطر على عقل حُسن شاه -على حد تعبيرها-

وشعرت بأنه لا يمكن أن لا تخرج بجديد من هذا الحفل الذي كل تفصيلة تحدث فيه هناك من يرصدها ويرقبها ويترقبها؛ فهناك من يحلل ويدقق في كلمات أغانيها، وهناك من يصف بدقة أداءها، وهناك من يكتب عن الفستان والمنديل، وغيرها من التفاصيل التي سكنت قلوب محبي كوكب الشرق.

لكن فكرة أخرى طرأت على بال حُسن، وهي أن تترك الحفل وتذهب بعيدًا -بصحبة المصور الفذ فاروق إبراهيم- إلى مسقط رأس أم كلثوم، والبيت الذي وُلدت فيه، وهناك وجدت البيت مهجورًا تسكنه الأشباح، ومليئًا بالحجارة، ولا يوجد به سوى «بلاص»، وعلمت من الجيران أنه في هذا البقعة وُلدت أم كلثوم!

وبمجرد نشر الموضوع في مجلة «آخر ساعة» ثارت أم كلثوم، واتصلت بحُسن شاه وقالت لها: «أنا فيه ناس فعلوا أشياء أقل مما فعلتي بكثير جدًّا وضرِّتهم وكان ممكن أضرِّك، ولكن أنا لن أفعل لكي شيئًا سوى أنني لن أسمح لك برؤيتي مرة أخرى».

«٣»

وحدث ما أرادت أم كلثوم، وقُطعت كل السبل إليها، ولم تستطع قرابة عشر سنوات من هذه الواقعة أن تذهب إلى أي مكان توجد فيه أم كلثوم.

وحين التقيت حُسن شاه وسألتها: هل ندمتِ على ما فعلتِ مع أم كلثوم؟ أجابت: «شعرت بالندم حين وجدت أنني لا أستطيع الذهاب معها في جولاتها بعد النكسة لدعم الجيش

المصري، لكن لو عادت بي الحياة سأكرر ما فعلت بالضبط، ولكن هذا لا يمنع أنني ارتكبت نوعًا من الحماقة، كنت سأفعل ذلك لأن الصحفي بداخلي أكبر، ولكن أنا لو كنت أذكى ما كنت فعلت ذلك لأن هذه في النهاية أم كلثوم وأنا علاقتي بها خلال السنين العشر التي انقطعت علاقتنا فيها كان ممكن أعمل حاجات كتير، لكن هذه هي تركيبتي، وقد تكون تركيبة خطأ، لكن لا يوجد خطأ مُطلق، فقد فعلتُ ما يرضي ضميري دون النظر إلى العواقب!».

لكن في عام ٧٤ دقّ جرس تليفون البيت، وحين رفعتْ سماعة الهاتف وجدتْ المُتصل يقول بصوت أجشّ: «حُسن شاه موجودة»، فتعجبت حُسن وقالت لنفسها «مين ده اللي لا بيقول مدام ولا أستاذة ولا حاجة، يعني حسن شاه بتلعب معاك في الحارة»، فردَّت بعنف: «مين عاوزها؟!».

فقالت: أنا أم كلثوم!

فرقصت حُسن فرحًا، ولم تصدق أن تسمع صوت أم كلثوم بعد كل هذه القطيعة، ولم تَدَعْها أم كلثوم تفكر كثيرًا، فقالت لها: أنا باكلمك عشان أنا شاهدت بالأمس فيلم «أريد حلاً»، وأنا أريد أن أقول إن الفيلم سيكون له بصمة في تاريخ السينما، وفي تاريخ المرأة.